الاغتراب في شعر الغزي*

Alienation in AL-Ghazi,s Poetry

أ.م.د. سعد حمد يونس*

Assist.prof.dr. Saad Hamad Younus
university of mosul / college of educa
for human sciences
Saadahmad٣٤@uomosul.edu.iq
٠٧٥١٣٢١٥٩٦٧

الملخص

تداخلت الغربة والاغتراب وتمازجتْ مع شعر الغزّيّ الّذي تداعتْ في حياته عدد من المحفّزات , ولعلّ أبرزها بعده عن وطنه غزّة ، وتردّد في شعره الحديث عن (الفِراق ، البُعد ، الشّكوى) ، وكان هذا المحور الأبرز ، إذ بدى الشاعر متماهياً في الوصف واستقصاء ما أمكن من دلالات وتشكيلات تعبيرية وجمالية ، وعزز ذلك كله استحضار الأمكنة التي بدتْ المعزّز الأكثر إيجابية وتفهّماً للشاعر لأنّه شكّل جزء من ذاته ، وكان لحالته النفسيّة ؛ الأثر الكبير في اغترابه النفسي والذي شكّل حاجزاً بينه وبين ما يدور في مجتمعه من تناقضات ، فضلاً عن الأوضاع والحالة الاجتماعية السيئة آنذاك ، وتنوّعَ اغترابه ما بين غربةٍ مكانيةٍ ونفسيةٍ وقد ارتبطتا بِبَعضِهِما .

وكان تقسيم البحث بحسب اقتضاء الخطّة على محورين حمل الأول عنوان : الاغتراب الاجتماعي ، وقد شمل اغترابه عن الناس وعن القيم التي اتّسم به مجتمعه آنذاك وعاداته، وكان الثاني بعنوان : الاغتراب المكاني وقد شَمل اغترابه عن وطنهِ وشوقهِ وحنينهِ له.

- * الغزّيّ: هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي أبو إسحاق الغزيّ ، واتفقت المصادر على كنيته أبي اسحاق ولكن ورد في الوافي بالوفيات للصفدي ٥١/٦ أنه أبو مدين، ولد في بلدة غزّة في فلسطين سنة(٤٤١هـ) وكان شافعي المذهب وصفه ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان ٥٧ بأنه الشاعر المشهور المحسِن وبعد طول ترحال واغتراب توفيَ الشاعر الغريب وكان قد خرج من (مرو) فمات في الطريق ودُفن في مدينة (بلخْ) سنة (٥٢٤هـ).

* جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية.

Summary

Alienation intertwined and intermingled in the poetry of Al-Ghazi, whose life was subjected to anumber of stimuli in his poetry , he frequently mentioned separation ,distance , and complaint,,and this was the most prominent axis.the psychological state had amajor impact on his psychological alienation, and the research was divided according to what the plan required into two axes the first was titled social alienation and included his alienation from people and the values that characterized his society at the time and its customs the second was ; titled spatial alienation and included his alienation from his homeland and his longing and nostalgia for it.

الكلمات المفتاحية (الاغتراب ، توظيف ، الغزّيّ ، الاجتماعي ، شعر)

(Alienation، Employing ، AL-Ghazi ، Social ، poetry)

المقدمة

يعدُّ الاغتراب مفهوماً واسعاً ، وهذا الاتّساع جعلَ القوانينَ تسعى إلى ضبطه فأخذ معانٍ متعددةٍ وممتدةٍ بامتداد تلك الرؤى التي تتعامل مع هذا المفهوم ، فهو منَ المفاهيم الإنسانية الفكرية البارزة الأكثر استخداماً في مجال العلوم الإنسانية، إن اختلاف الرؤية في مفهوم المصطلح أدّى إلى اختلاف توظيفه في الحقولِ المعرفيةِ التي تتقصد الاستفادة منه ، كعلم الفلسفة والاجتماع وعلم النفس ؛ فتعددت الآراء والأقوال في هذا المصطلح ويعاني إلى يومنا هذا من الغموض ، لذلك من الصعب تعريفه تعريفاً دقيقاً .

ويعدُّ الاغتراب قيمةً إنسانيةً ومفهوماً ذا اشكاليةٍ كبيرةٍ , وإنّ عمر الاغتراب هو عمر الإنسان ؛ ويتسلّل بين الإنسان وذاتِه وبينَ الانسانِ وعملهِ وبين الإنسانِ ومجتمعهِ ، وبما أنّه من المفروض أن تكون علاقته بمجتمعه عميقة إلاّ أن الاغتراب حالَ دونَ ذلك ، فالاغتراب حالة ذاتية كشعور الناس بأنهم غرباء ، أو بعيدون عن ذواتِهم ، فيصبِحُ الاغتراب حاجزاً بين الانسان وذاته, وهُما الجزء الذي لا يتجزأ إلّا بالاغتراب .

ومهما قيل عن الاغتراب فيبقى له اتجاهين مهمين أولهما : الاتجاه الإيجابي وثانيهما الاتجاه السلبي ، فعندما يكون إيجابياً يضفي الشاعر على إبداعه هذه القيمة من خلال إيمانه الراسخ بأنّ هذه الدنيا فانية والآخرة باقية ، والصبر على المكاره والأسى والغربة هو مفتاح التغلب على الاغتراب ، أمّا عندما ينحى منحى الاستسلام والرضوخ والقهر والانهزامية والضعف والدونيّة والشكوى الملحّة والتضجّر ،عندئذ يتّسم بالسلبية التي سلبت حق الإنسان في التصرف بحياته كما يريد ؛ وحولته إلى شخصيةٍ في حالةِ اغترابٍ واستلاب.

وتبقى إمكانية المبدع في كيفية تصوير هذا الاغتراب في إبداعه بشكل فنّي ومنطقيّ وكيف انعكس ذلك على شعره، ويبدو أنّ هذا قدرُ كلِّ مثقّفٍ ومبدعٍ وعالمٍ ونَبيّ.

التمهيد :

أولاً: الاغتراب لغةً:

للاغتراب في المعجم العربي عدة معانٍ منها :

١- الابتعاد والنزوح عن الوطن "الغُرْبَةُ والغُرْبُ النُّزوحُ عنِ الوطنِ والاغتراب"[١]

٢- يأتي بمعنى الابتعاد والتنحّي عن النّاس " فالغُرْبُ الابتعادُ والتّنَحِّيْ عنِ النّاسِ "[٢]

٣- الاختلاف في السلوك واللون فأمّا الاختلاف في السلوكِ عن الغيرِ فقد جاء بقول رسول الله ﷺ عندما سُئِلَ عن الغُرَباء فأجاب " الّذين يُحْيُونَ ما أماتَ النّاسُ منْ سُنّتِي " [٣] فهمُ المختلفونَ في هذا الجانب السلوكي عن البقية ، أمّا الاختلافُ في اللونِ فقدْ عبّرَ عنه صاحب اللسان بقولهِ " التّغْريبُ أنْ تأْتيَ بِبَنيْنَ بيضٍ والتّغْريبُ أنْ تأْتيَ بِبَنيْنَ سُودْ " [٤].

ثانياً : الاغتراب اصطلاحاً :

لم يحدد الاغتراب بمصطلح معين ذلك كونه مجرداً فلسفياً لاتحده قوانين منضبطة ، فهو مصطلح يكاد يكون غامضاً ، والأقوال فيه متباينة حتى الآن ، وبذلك فقد ارتأينا استعراض بعض مفاهيمه في أهم المجالات الحياتيّة وهي كالآتي:

---

(١) لسان العرب، ابن منظور(مادة غرب) : ٦٣٩/١.

(٢) المصدر نفسه (مادة غرب) : الصفحة نفسها.

(٣) سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر١٨/٥ رقم الحديث ٢٦٣٠.

(٤) المصدر نفسه (مادة غرب) :٦٣٩/١.

١- الاغتراب الديني يعني عند فويرباخ " أن يخرج الإنسان إرادته وقوته ويضعها في فكرة مجهولة ثم تتحول إلى قوى تسيطر على حياته " [١] وهو ناتج عن ضعف الإنسان الذي إذا ما تعرّض لصدمة لجأ إلى قوى غيبية لحمايته .

٢- الاغتراب الاجتماعي هناك أكثر من تحديد لهذا المظهر الاغترابي فقد حدّده هيدجر بقوله : " الشعور بالاختلاف بصورة تبعث على التوتر في وجود الآخرين بسبب نظر المرء أو اهتماماته "[٢]

٣- الاغتراب عن الذات يرى [اريك فروم] أن الاغتراب عن الذات يعني أن "شخصاً ليس له شعور بالذات إلا ذلك الشعور الذي يمكن أن يخلقه التوافق مع الأغلبية "[٣]

وقد تباين موقف المنظرين وهم يتحدثون عن قيمته فمنهم من عده حالة سلبية , فقد عد [هيجل] حالة الاغتراب عن البنية الاجتماعية خطراً، لأنها تؤدي إلى شروخ داخل ذات المرء ، ومن ثم تقسيم داخل بنية الشخص وعدّه [سارتر] حالة سلبية من خلال دعوته إلى مهاجمة الواقع الذي أوقع الانسان في الأسر، لأنه يرى أن الاغتراب كارثة تحلّ بساحةِ الإنسان ,إذ يقول : الاغتراب بمعنى نقل الملكية يؤدي ليس فقط الى فقدان الحرية بل ايضا الى فقدان الوجود والحياة .

بينما ذهب البعض إلى أن الاغتراب حالة إيجابية يعزز شعور الفرد باستقلاليته وهذا ما حصل لفرويد الذي غرّبته البنية الاجتماعية أيام شبابه وقد يكون الاغتراب حافزاً للعملية الإبداعية لدى الفنان فهروب الفنان من الواقع يلجؤه إلى واقع خيالي مزيّن في نفسه .

أمّا علماء الاجتماع فإن غالبيتهم وقفوا موقفا محايداً من قيمة هذه الظاهرة وتناولوا الاغتراب بصورة غير تقويمية ومثلما لم تتفق الآراء على تحديد مصادر الاغتراب وقيمته فإنها جاءت كذلك وهي تتحدث عن إمكانية تجاوز الحالات الاغترابية ، فقسم يرى أنه بالإمكان تجاوزه مقدماً السُبل التي يتحقق ذلك من خلالها .بينما ذهب قسم آخر إلى أنّ هناك حالات اغترابية لا يمكن تجنبها واعتقد فريق ثالث أن الاغتراب أمر لا يمكن تجاوزه. [٤]

ثالثاً : الاغتراب وحدود المصطلح

كما انقسم المفكّرون والمنظّرون في تحديد دوافع الاغتراب وقيمته ؛ انقسموا كذلك في حدود الممانعة وقد قسّموها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :-

ذهب أصحاب هذا القسم إلى إمكانية تجاوز حالات الاغتراب بتقديم السُبل اللازمة لذلك فاعتقد [هيجل] إمكانية تجاوز الاغتراب عن البنية الاجتماعية من خلال التسليم أو التضحية

---

(١) الاغتراب في الفكر الماركسي ، شاكر نوري ، مجلة الثقافة ،ع٤، نيسان ١٩٨٣ : ٥٠ .

(٢) الاغتراب : شاخت ٢١٦

(٣) المصدر نفسه : ٢٢١

(٤) ينظر: الاغتراب الاجتماعي في شعر صدر الاسلام ، د.حسن صالح سلطان، رسالة ماجستير: ٩-١١.

وتنازل الفرد عن ذاته [١], أمّا [ماركس] فيرى بأنه عن طريق الإنفصال والثورة على ماهو قائم يمكن تجاوز الاغتراب [٢] ، ويرى [كير كجارد] إمكانية تجاوز الاغتراب عن طريق الدين[٣] وهو يقصد الدين المسيحي ؛ أما نحن فنرى أنّه بإمكان المسلم المؤمن أن يتجاوز الاغتراب عن طريق الدين الاسلامي لأن المؤمن لايقنط من رحمة الله كما قال تعالى ((لاتقنطوا من رحمة الله)) [٤] وقال تعالى ((ومن يتق الله يجعل له مخرجا)) [٥] ، كما ذهب أصحاب العقد الاجتماعي إلى إمكانية تجاوز حالات الاغتراب عن طريق التسليم أو التخلّي للمؤسسات الاجتماعية والسياسية أو السلطة المطلقة [٦] ويرى جوته أنّ الإنسان يقهر اغترابه عن طريق التمرّد ، والتمرّد هنا رفضٌ للانتحار وتشبثٌ بتأكيد الوجود الإنساني [٧] أي بإثبات النفس في الوجود .

القسم الثاني :-

يرى[فروم] أن هناك حالات اغترابية لا يمكن للمرء أن يتجنّبها [٨].

القسم الثالث :-

إنّ اصحاب هذا القسم يرون أنّ الاغتراب لا يمكن تجاوزه ، فذهب [سارتر] إلى أنّ الاغتراب يتم الخلاص منه عن طريق الموت [٩] وكذلك [فرويد] الذي يشير إلى أنّ الحضارة عدوُ للإنسان وهو الذي يقوم على كبتِ الغرائزِ ويقف ضده ويعتبر أنّ الاغتراب حالة ملازمة للإنسان دائما وليس هناك أي اعتبار للعوامل الخارجية أو الاجتماعية [١٠] ، ويؤكد ذلك ما ذهب

---

(١) ينظر: الاغتراب : ١٠٥.

(٢) ينظر: الموسوعة الفلسفية ، د. عبد المنعم الحفني : ٥١٥.

(٣) ينظر: حول الاغتراب الكافكاوي رواية المسخ نموذجا ، ابراهيم محمود ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٥ ع٢ ، ١٩٨٤ : ٨٤.

(٤) سورة الزمر : آية ٥٣.

(٥) سورة الطلاق : آية ٢.

(٦) مقدمة في نظرية الادب د.عبد المنعم تليمة : ٦٨.

(٧) ينظر :الاغتراب : ٣٠٢.

(٨) ينظر: الموت في الفكر الغربي ، جاك شورون : ٢٥٧.

(٩) ينظر: عالم الاغتراب الكافكاوي ، مجلة عالم المعرفة ، بيروت ،ع ٥ ، ١٩٨٠م : ١٢٠.

(١٠)الاغتراب الجديد ، د. احمد ابو زيد , مجلة العربي , الكويت ,ع٦٣١ , ٢٠١١ : ١٦.

إليه بعض الماركسيين إلى أن الاغتراب حالة أبدية أو أنه لعنة يصعب التخلص منه أو رفعه عن الإنسان [١] .

رابعاً: بين الغربة والاغتراب

لابد لنا أن نميّز بين هذين المصطلحين اللذين قد وقع كثير من الباحثين في خطأ الخلط بينهما ، ويبرهن الدكتور شاكر نوري ومحمد ذنون الصائغ أن سبب الخلط هو سوء الترجمة وعدم الدقة فيقولان عن الاغتراب " إن هذا المصطلح لم تستقر ترجمته في اللغة العربية لحد الآن فأحياناً يترجم المصطلح الى الغربة او التغرب او التغريب او الاستلاب او الافتراق عن الجوهر ...الخ ، وهذه الترجمات المتعددة قد تربك القارئ من ناحية وتسيء استخدام المصطلح من ناحية أخرى ولعل أشد التباس وقع فيه هو عدم التفريق بين الغربة والاغتراب " [٢]

وقد فرّق كل منهما بين المصطلحين في قولهما " الغربة تعني الشعور بالابتعاد المكاني عن الوطن أي الإحساس بالغربة نتيجة المسافة التي تفصل بين الإنسان عن مجتمعه ومعارفه وعالمه ، أما الاغتراب فيختلف عن الغربة اختلافاً جوهرياً إذ إنه يعني فقدان القيم والمثل الانسانية والخضوع لواقع اجتماعي يتحكم في الإنسان ويستعبده حينئذ يشعر الانسان بالانفصال والانعزال عن الآخرين والعالم وحتى عن ذاته "[٣]

ويقول فتح الله خليف : إنّ الاغتراب والغرب والغربة يأتي بمعنى واحد في اللغة والاصطلاح وهو الذهاب والتنحّي عن الناس ، ولهذا يعرف شيخ الإسلام الهروي الأنصاري الاغتراب بأنه " أمرٌ يشار به إلى الانفراد على الأكفاء " [٤] فهو يشير إلى الاغتراب الإيجابي .

المحور الأول

أولاً : الاغتراب الاجتماعي:

بما أنّ الإنسان هو وليد المجتمع بإيجابياته وسلبياته فهو خيارين لا ثالثَ لهما ، أمّا الإنسجام مع هذا المجتمع ، أو عدم التوافق ، ومن هنا كان للبحث الاجتماعي السوسيولوجي دوراً متميزاً في الكشف عن ظاهرة الاغتراب باعتبارها " ظاهرة اجتماعية محضة أفرزتها الصراعات الاجتماعية المتناحرة في محاولة لسلب الإنسان حريته وإخضاعه للواقع المعاش" [٥]

---

(١)الاغتراب الجديد ، د. احمد ابو زيد , مجلة العربي , الكويت ,ع٦٣١ ,٢٠١١ : ١٦.

(٢) الاغتراب في الادب والفن ، شاكر نوري، مجلة الثقافة ، مج٧ ،ع٦ ، ١٩٧٧ : ٨٦.

(٣) الاغتراب في الفكر الماركسي ، شاكر نوري مجلة الثقافة ،ع٤ ، نيسان ١٩٨٣ : ٥٥

(٤) منازل السائرين ، الشيخ عبدالله الأنصاري الهروي : ٢٠١/٣.

(٥) القلق والاغتراب في شعر ماقبل الإسلام ,عمر الطالب : ١٩.

فوَردَ الاغتراب الاجتماعي (السوسيولوجي) عند الدكتور شاكر نوري بمعنى " الغربة أي حالة البعد والانفصال عن الجماعة إذ لايستطيع ان يرى ذاته في خضم الجماعة ويشعر آنذاك بضياع ذاته" [١] ويعرّف [كلارك] الاغتراب من خلال الشعورفيقول بأن " السيطرة التي يحس المرء بأنه يفقدها هي من حقه بصورة مشروعة ويقرر أنّ مقاس الاغتراب ينبغي أن يكون مقياساً لمدى التعارض بين القوة التي يعتقد الانسان أنها بحوزته وتلك التي يعتقد بأنها ينبغي أن تكون له " [٢]

١- الاغتراب عن الناس

لا أصعب ولا أشقى من حياة الانسان بمعزل عن أهله وأحبائه وإحساسه بالبعد عنهم على الرغم من أنه يحيا ويعيش بينهم فإذا ما تمثلت حياة الإنسان بالسلبية وعدم التفاعل في مجتمعه لأسباب قهر عليها ، سيعاني حينها حتما اغتراباً وشعوراً سوداوياً يغطي على حياته ويهدد كيانه وطموحاته في ذلك المجتمع ومما لاشك فيه ان الاغتراب ذو صلة وثيقة بالإنسان إذ يعد الاغتراب " من طبيعة الإنسان ودافع أساسي من دوافعه وهو يختلف من إنسان لآخر وذلك لأنه يتلوّن بطبيعة صاحبه وبطبيعة المجتمع وبطبيعة العصر بقيمه وأعرافه ومعارفه " [٣] يقول الغزيّ[٤]:

مُذْ غالَ قابيلٌ أخاهُ لفضلِه وَجَبَ الحَذارُ على ذوي الحسّادِ

وظّف الشاعر قصة قابيل وهابيل التي وردت في القرآن الكريم ، وهي أول جريمة ارتكبت على وجه المعمورة ، وكان قتل قابيل لأخيه هابيل بسبب حسده لأخيه ، وقبول قربان هابيل وعدم قبول قربان قابيل ، ممّا أوغل صدره على اخيه فاستثمر الشاعر هذه الحقيقة ليوظفها في شعره ، وليشر في الوقت نفسه الى تقدمه وتفوقه عل حساده ، وهذا الشعور بالتفوق هو مدعاة الى الاغتراب عن الناس الأشرار بقوله (وجب الحذار ، ذوي الحساد).

فالاغتراب:هو حين يصل الفرد إلى الانفصام بينه وبين مجتمعه بسبب فقد الفرد إنتسابه إلى قيم المجتمع التي تضمن له العدالة والمساواة في التعامل مع الناس دون تمايز ويبتعد الفرد عن الأنانية وعن سلطة المجتمع والأعراف المتهورة التي تخدم فئة معينة من المجتمع على حساب أخرى [٥] وهذا هو السبب الذي جعل من الغزيّ انساناً حذراً من هؤلاء الحساد وربما تصريح بإيذائهم له ووجوب العزلة والابتعاد عنهم.

---

(١)الاغتراب في الفكر الماركسي ، شاكر نوري ، مجلة الثقافة ، مج١٣ ،ع٦٠:١٩٨٣:٤.

(٢) المصدر نفسه : ٢٢٧.

(٣)حول الاغتراب الكافكاوي ، رواية المسخ نموذجا ، إبراهيم محمود ، مجلة عالم الفكر، مج ١٥ ،ع٢ ، ١٩٨٤: ٨٦.

(٤) ديوان الغزّيّ : ٤٥.

(٥) ينظر: الاغتراب الجديد ، د. أحمد أبو زيد , مجلة العربي , الكويت ,ع٦٣١ , ٢٠١١: ١٦.

وفي موضع آخر يقول[١]:

فأصبحَ منسِمَ الدّنيا سَناماً وخَرّ الرأسُ وارتفعَ الذُّنابا

إنّ الحالة النفسية التي وصل إليها شاعرنا ونبذ المجتمع له وصلت قمتها ويبدو أن ألارض قد ضاقت به فلم يجد له مخرجا إلّا أنّ يعتزل هذا المجتمع ، وذلك لأنّ الشاعر فقد مكانته التي كان يتمتع بها بسبب ما حلّ بالمجتمع فبدأ القلق والاضطراب يتغلغل في داخله حتى تحول المكان إلى كابوس يفزعه [٢] وعلى الرغم من الاستياء والشكوى والضجر, وكذلك الضغوطات من المجتمع عليه مهما كانت نوعها على الرغم من ذلك على أنه يزداد أملاً لأن المعوقات عندما تبلغ حداً معيناً تثير الطاقة والدافع وتحركهما نحو الهدف [٣] ويشير الغزّي إلى أنّ صغار القوم صاروا في أعلى الهرم والّذين يستحقون الارتقاء وهم رؤوس القوم صاروا في أدنى القوم . إنّ هذا الاشتياق والتذلل يدلّان على التديّن والابتعاد عن المعاصي ويبيّن حالته من جديد , وهذا التكرار في التذكّر يدلّ على الحرص على التواصل .

تنوعت الأفعال بين ماضٍ وحاضر، لتشكّل نسَقاً مغايراً أبرز حالة التوتر التي تجلت في توالي عدد من الدلالات التي تمحورت ضمن دائرة الفقد والحزن: (خرّ الرأس ،ارتفع الذنّابا) إذ رشح عن هذه التراكيب وتنوعها الزمني والدلالي نصاً مكتنز الايحاءات، فوظّف الشاعر انقلاب الأعراف فتداخلت مع انفعالات الشاعر وهي تستغرق في محيطها الاجتماعي وتتأثر به، إذ يقول[٤]

بِضاعَتي أدَبٌ بارتْ تِجارَتهُ فصارَ ما كانَ رِبْحاً منهُ خُسْرانا

حاول الشاعر القبض على ذلك الزمن الذي مضى دون عودة، والتعايش كذلك مع الحاضر المؤلم، فكلا الزمنين شكلا عصارة تجربة حسية مؤلمة، محطماً العقلنة والمنطق وما تجذر من أسس، ليصور واقع الانسان المعاش، وجعلها معادلا موضوعيا، بين الواقعي الوجودي والحسي،

---

(١) ديوان الغزي: ٢٠٤

(٢) ينظر :المكان في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، د. محمد عويد الطربولي : ٢٨٩.

(٣)ينظر : الإبداع والتوتر النفسي ، سلوى سامي الملا : ٥٦.

(٤) ديوان الغزّيّ:٧٠.

وتمثّل هذا الطرح بزاوية أكثر جذياً ووضوحاً وتمعقاً كذلك، إذ يشعر الشاعر باغترابه عن ذاته وشعوره بالتقهقر وعدم الأهمية واستلاب النفس ، فتجارته بارتْ وربحه خسارة .

فالحديث لا زال في دائرة السلب والفقد (البعد والفراق) تخلل ذلك التميل شيء من التحسر والشكوى، عبّر عنه الشاعر بصيغ تعبيرية عديدة، (جمالية) أعطت للنص فرادته ومرونته كذلك

يمضي النص بالدخول في شبكة من العلاقات التركيبية التي أَسقط فيها الشاعر معطيات العالم الذي يحيط به، محاولاً معادلتها، بدخول الحواس إلى النص، بوصفها حقلاً دلالياً مكتنزا، لاسيما في ما تضفيه على الدلالات من تماسك للبنية الجمالية (التعبيرية) للنص من المنظومة المعنوية عامة، إذ يقول الشاعر [1]

طولُ الإقامةِ بالعراقِ دَعا إلى تزويجِ أبكاري بِمَهْرِ العونِ

فكان استحضار التراكيب أَكثر ملائمة مع سياق النص لاسيما في تنوع الوظائف التعبيرية بين حجاجية وتأثرية وجمالية وغيرها، فتحديد المكان الذي كان له الأثر الأبرز في النفس، وألفته أو نفرت منه، يقع ضمن تجربة عاشها الشاعر، مع من فارقهم من الأحباب وللمكان عامة وجهان عند الشاعر، وجه يجذب يقع ضمن دائرة الأحلام والأمان ووجه آخر يخيف الشاعر ويحرك عنده هواجس الزمن والنفور من المكان، وهو أحد عوارض الاستلاب والانقطاع عمّن يحبهم ويألفهم[2].إذ أخذ الشاعر مباشرة المعنى في تعبيره عن دواخله وشعوره، ومحاولة زعزعة التوافق بين الذات وما يقابلها من عناصر انسحبت نحو المخاطب، وبتراكيب اسلوب متواترة، مع مباشرة المعنى والميل إلى البوح بكل ما تجده الذات أمام ما يحيط بها من حركة تمظهرت في قوله: (طول الإقامة ، تزويج أبكاري) في كناية جميلة وتشبيه أجمل ، فقصائده البكر زوّجها بمهر بخس بسبب العوز والحاجة ، مع مداخلة هذا التركيب بما هو عام وخاص في الآن ذاته، الأمر الذي جعل من النص

(1) ديوان الغزّيّ:٧٠.

(2) ينظر: مقدمة للشعر العربي، أدونيس: ١٥.

أكثر انسجاماً مع التحول الى غربة مؤلمة، أكّدت أصالةً ومعرفةً ؛ في الانتماء، ويبرز ذلك في قوله[١]:

ما كانَ أقصرَ عيشاً رَقَّ حاشيةً وموعداً غيرَ موسومٍ بإخلافِ

أيامَ كنتُ أميراً في برودِ صِبا تُصْبي الكَعابِ بأعلامٍ وأفوافِ

وَحيُّ غزَّةَ حيُّ العِزِّ منتَظمٌ كعِقدِها منْ خيامٍ بينَ أحْقافِ

لازال الشاعر يتذكر دياره وعزته وكأنه أمير بلاده وهو في شبابه وصباه والباكرات الجميلات حوله ويشير الى غزّة العزّة بقوله (حي غزّة / حي العزّ) وهذا الشعور بالغربة عن وطنه والاغتراب النفسي شكل معنىً جديداً وهو عدم الإنتماء، والشعور بالإبعاد والتهميش، فظهرت الدلالات وهي مشحونة بطاقة ترميزية مكثفة، وعاود فيها الشاعر ذكر المكان الذي وجد فيه ضالته وسلوته وبذلك صار الاغتراب حافزاً للعملية الإبداعية لدى الفنان " فهروب الفنان من الواقع يلجؤه إلى واقع خيالي مزين في نفسه " [٢] كذلك يقول[٣]:

ضاقتْ عليّ موارِدي ومصادِري والإرضُ حَوْلي رَحْبةُ الأكنافِ

إرتسمت هذه اللوحة الجمالية في عدد من التشكيلات التعبيرية، والمدركات الحسية التي أثّرت في نفس الشاعر اذ طغت العاطفة، والوصف مع تداخل دلالي تمثل في محور غربة الوطن والأرض، التي كانت وما زالت مرتع الشاعر وفضاءه الأرحب، فبعد الجفاء والإستلاب جاء التشاكل في استحضار عدد من المضامين الفكرية، وما وظفته ذاكرة الشاعر، معطياً ذلك انطباعاً جمالياً لا سيما وهو يشير إلى ضيقه على كل المستويات مع رحابة الأرض وسعَتِها . ويتبيّن أنّ الاغتراب يعبّر عن حالةٍ انهزامية كما أنه يمثل نوعاً ما ؛ من انهزامِ المرء أمام أهوائه وشَهَواته [٤] إذن فالاغتراب يدلُّ على ضعف الإنسان وقهْرِه.

---

(١) ديوان الغزّيّ:١٨١.

(٢) حول الاغتراب الكافكاوي ، جماليات المكان في شعر ذي الرمة، إبراهيم محمود ، رسالة ماجستير : ٨٧.

(٣) ديوان الغزّيّ:١٧٣.

(٤) ينظر : حول الاغتراب الكافكاوي جماليات المكان في شعر ذي الرمة، إبراهيم محمود، رسالة ماجستير: ٨٧.

ويؤكد في شاهد آخر على قلَقِه وغربيته في قوله[1]:

فَوقفْتُ بينَ النائِباتِ كأنّني في عُصبَةٍ وَقَفوا على الأعرافِ

لاجَـنّةً دَخـَلوا ولا ناراً صَلَوْا فَـهُمُ على الآمالِ والأخوافِ

يكشف الشاعر عن قلقه وحيرته وغربته وحوله المصائب والمصاعب وهو بين الخوف والأمل فشبه حاله بأصحاب الأعراف وهذا الإقتباس الديني يشكل ثقافة الشاعر واطلاعه على كثير من الأمور الشرعية والفقهية وهذا ماأثبتته أشعاره في الديوان التي كشفت رؤيته، ويؤكد البيتين على شعوره بالغربة والاغتراب مكانيا ونفسيا فهو كالتائه الذي لايهتدي الى طريقه. ، وتفاعل الوحدات اللغوية مع بعضها البعض لتشكل فضاءً جمالياً متميزاً، فتتجلى جمالية النص هنا في التمازج بين الالم الذي تعيشه الذات مع ما هو جمالي (خارجي) تضفيه الألفاظ (الخوف / الأمل) وبين الداخلي وهو الأمل، لأن " الغربة قد صهرت شعره بنارها...هو هذا الشعر المتلظي بالشوق... والمكتوي بنار الغربة "[2].

٢- الاغتراب عن القيم والعادات الدخيلة

لابد أنْ يكون هناك قيمة للاغتراب سواء إيجابية أم سلبية ، فالمبدع في إبداعاته يغترب عن البنية الاجتماعية لأنه في محنة ابداعه ، والاغتراب للمبدع ثوران على بني جنسه لكي يتفوق عليهم ، وإنْ كان هناك أسباب أخرى ، وتوظيف الفنان والمبدع ما في داخله من خيال قد ينتقده المجتمع فيجبر آنذاك على الاغتراب عنهم لإكمال عمله ، وكثير من المفكرين إذا ما تتبّعْنا حياتهم ؛ نراهم قد أخفوا مساكنهم عن أصحابهم ، ويعد الاغتراب بنظر بعض المفكرين ايجابياً وهناك من الاغتراب ما يجزئ شخصية الإنسان عن بعضها فيغترب عن ذاته كاملة ، وإن عملت هذه الآلية فيكون عملها ناقصاً لنقص أجزاء منها [3].

ويعدُّ الاغتراب أيضاً سلباً على الإنسان إذا ما فقدَ الانسان قيمته في الوجود الذي هو فيه فلا يرى للحياة أي معنى بعد أن تم اجباره على ما لايطيقه وجرده الاغتراب من قيمته التي يتميز بها عن غيره واستخدمه بعض علماء الاجتماع بلا قيمة ونرى أنّ للاغتراب قيمة سلبية وإن كان دافعاً للإبداع فإنه يجرد الإنسان من لذة الحياة التي تكمن في الاندماج مع المجتمع وحتى مع ذاته دون أن نذكر ما يعانيه الإنسان من بقية الدوافع التي تسلب ما يملكه من حقوق وحرية

(١) ديوان الغزّيّ: ١٧٣.

(٢)ديوان الغزّيّ:٧٠.

(٣) ينظر : حول الاغتراب الكافكاوي جماليات المكان في شعر ذي الرمة، إبراهيم محمود، رسالة ماجستير:٨٠-٨٢.

في الحياة سواء مع المجتمع أو مع ذاته [١]، أما الغزيّ فقد تميز بإحاطة شاملة، وعمق فكري في التعامل مع النصوص الفنية .

ففي قوله[٢]:

لخلوِّ مَروَ عنِ المروءةِ أصبَحتْ مأوى اللِّئامِ ومَجْمَعَ اللّوّامِ

إنّ مأساة الغربة المكانية والاغتراب النفسي الذي يعانيه الشاعر وضيق صدره جعله ينفصل نفسيا عن مجتمعه فهذه المدينة (مرو) قد خلت من المروءة وصارت مكانا للّئام واللوام ، إذ أضفت التراكيب المجازية، تفاعلاً ديناميكياً، في محاولة اقتناص ماهو جمالي وحيوي ومؤثر في الآن ذاته، ولعل التحول التركيبي والدلالي بين الأبيات الشعرية، والتفاعل الجمالي بين الوحدات اللغوية، جاء لمحاولة التنفيس عن كوامن الذات ومشاعره، مشكّلاً في ذلك كله رؤية رمزية متكاملة أمسك النص فيها على محوري الزمان والمكان على حد سواء في استحضار ما هو واقعي وخيالي ليشكّل غربة واغتراباً يعانيه الشاعر .

المحور الثاني

ثانياً : <u>الاغتراب المكاني</u>

١- الغربة عن الوطن

يقول[٣]

ليس التّغَرُّبُ أنْ تشكو نَوى سَفرٍ وإنّما ذاكَ فَقْدُ الجنسِ في الوطن

---

(١) المصدر نفسه : ٨٦ – ٨٩.

(٢) ديوان الغزّيّ :٢٢ .

(٣) ديوان الغزّيّ: ١٧٩.

ويكرر هذا المعنى في قوله [١]

غريبٌ وإنْ كانَ في دارهِ وفقدُ النظيرِ كفقدِ الوطن

يبيّن هذا الشاهد بصريح الألفاظ بأنّ الغربة والتغرب ليست بُعد السّفر والأمكنة ، وإنّما فقد الإنسان جنسه وهذا من أصعب مايمكن حتى يصل الحال به إلى أن يكون غريباً في وطنه وداره وهذا هو الإنفصام عن الناس وكأنّه وحيداً في عالم لاينسجم معه ، كما أفاد الغزي من تكرا ر(فقد) في شطر واحد ليؤكد فقده لوطنه وغربته مكرها وألمه على هذا الفقد الذي لايساويه فقد ، وكذلك تكراره لـ (وطن) ليؤكد الفكرة عينها ، ومن جميل مدح الغزّيّ في مداهنته للممدوحين ممزوجة بغصة الغربة قوله[٢]:

قَصدتُك لا بالشِّعر من أرضِ غزّة ولكنْ بقولي أنّني لك آمِلُ

تكتمل جمالية النص الأدبي بتنوع موضوعاته، اذ يكون مشبعاً بلوحات تحاكي شعور الشاعر وعواطفه، ولعل محاكاته الديار تنبثق عبر مناجاة الشاعر للأزمنة عامة، إذ يتسرب اليها الحزن والألم والذكرى والحنين، وكل ما يجول في خاطره، وهو يستذكر أياماً عاشها على هذه الديار، وزمان اندثر، فيقف على ذكر غزة الذي طالما يذكرها في اشعاره، وربما اصبح طللاً اخراً، كلاهما فقد شيئاً، وتسلطت عليه قوى خارجية لا يستطيع مواجهتها ويذهب دانييل بيل الى ان الاغتراب يؤدي دوراً ايجابياً ويؤكد ذلك الناقد مارك سكوير إلى أنّ الاغتراب يولد قدراً كبيراً من الطاقة الخلاقة ويشير العالم النفسي كينستون الى ان الشعر والفن والانجازات الثقافية الراقية يمكن ان يكون منبعها الاغتراب ، وتوصل سيمان من خلال ابحاث تجريبية أجراها إلى أنّ حالة الاغتراب هي دافع لتعزيز الثقة بالنفس في نطاقه الفكري ، ويرى [سيميل] أنّ المغترب هو الشخص المناسب والفريد الذي يتحدى صعوبات المجتمع ويتغلب عليها [٣] .

---

(١)ديوان الغزّيّ:٧٠.

(٢) ديوان الغزّيّ:٧٠.

(٣) حول الاغتراب الكافكاوي جماليات المكان في شعر ذي الرمة، إبراهيم محمود، رسالة ماجستير: ٨٧.

ويقول الغزّيّ [١] .

طمَأْنينَتي في أنْ أكونَ مشرداً طريدَ خطوبٍ عزَّ مأوئ طريدها

فيرز في هذه القصيدة ملمح الانفعال الذي وُجه نحو التشريد والطرد، فاستذكر عدداً من الأماكن التي بدتْ مقفرة، وأعطت دلالات الألم لماضٍ لن يعود، فبرز في لوحة فنية اشتملت على مجموعة من الحالات الانفعالية التي انبجست عن شبكة من العلاقات الجمالية، والتي أعطت للمكان دلالات جديدة بحسب تأثيرها على الذات، وتأثرها به، مع أنّ الخطاب فيه مفارقة، فمهّد المكان لعدد من المحمولات الفكرية التي برزت في توظيف عدد من التشكيلات التعبيرية، وتوالت الدلالات لوصف المكان الذي بدا فيه الشاعر مستسلماً لواقعه كونه مشردا، وانبجس عن هذا تقابلا تجلى في صوت الذات ورؤيتها مع وجود المكان وفعاليته، وبرز ذلك في توظيف عدد من التعبيرات الفنية وحركيتها، فتوالت مشاعره، اذ جعل من التشرد طمأنينة فقلب الوضع السلبي الى ايجابي وبذلك رمز الى الفوضى والتوتر اللذين لازما الشاعر في وساوسه، مع اطالة التفكير في موضوع ما، دون ايجاد نتيجة مقنعة تريح النفس، فأظهرت المعاني عمق الزمن مع الذات في اغترابه مع اللامكان اذ ابرزت الدلالات يأس وقنوط الشاعر، لا سيما في استعمال صيغة المبالغة (طريد، خطوب ، طريدها) فوظف الشاعر هذه الألفاظ للتعبير عن حاله وغربته عبر المفارقة السياقية وهي عكس الدلالة ، فالطمأنينة لا تكون في التشرد مطلقا ، إلا أن الشاعر قد تعود هذه الغربة فأصبحت ملازمة له ولنفسيته وكأنها الحالة الطبيعية ، فبدا التوتر واضحاً في مستوى دلالي منقلب، وفي ذلك تعزيز لرؤية الذات في جدلية المعنى، وبدا قضية انسانية معقدة، بدا فيها ضائعاً وتائهاً، مستسلماً للرحيل وعدم الاستقرار، ولا سبيل لذلك إلا الاستسلام، وهو يعاني في كلِّ رحلة من ألم الرحيل والحنين إلى الوطن الذي أمضى فيه زمناً جميلاً، يقول [٢]

فأحترمُ هجرَتي وجَوْبُ الفَيافِي وهي أعلى وسائِلي والسلامُ

(٢) ديوان الغزّيّ: ٧.

وفي شاهد آخر يقول[١]

إنّي مَلَلْتُ منَ المطِيّة والدّجا فوَقعتُ في تَعبِ المغَذِّ مُقيما

والمكان في لوحة الشاعر: مكانان، مكان للماضي وذكرياته الجميلة ومكان متحول يرمز للحاضر، وسلطة الفقر التي اخذت منه ذلك الماضي محاولاً رفض تسلطها، والمكان الذي فقده الشاعر الى الابد، هو لا زال موجوداً في ذاكرته، وتعاود الحياة كلما استذكر الشاعر تفاصيلها، وعليه فأصبح (جوب الفيافي ، هجرتي ، أعلى وسائلي) كل ذلك مدعاة الى اغترابه المكاني وحتى النفسي . واستسلامه لهذه الغربة وشكواه منها بقوله (اني مللت ، فوقعت في تعب).

إذ يقول[٢]

هلاّ نكرتُ شبابي وهو أغرِبةٌ للبين معربةٌ عن غُربةِ السّفَر

فعمد الشاعر آنذاك لتغيب حاضره، والحنين لماض لن يعود، وتمثل ذلك في قوله: (بين ، غربة السفر) إذ عبّرت البنية عن حاله التي بدت مع البين والقهر وغاب كل حلو في شبابه، وإذ يستدعي ذكرياته وحنينه أمام تلك الاثافي، فإنّه يجد في هذا الألم محو لإنسانيته وكل ما أحبه حتى عادت أمنياته لا أمل فيها، فيأخذ التمرد أبعاداً متنوعة يتعالق مع وعي الذات العميق، ومدى تعايشها مع ذلك الواقع الذي أبرزه التعبير الفني، لا سيما في الافعال الكلامية الذي بدت واقعاً معاشاً بكل خيباته وانكساراته ليؤكد غربته واغترابه . فتمر عليه الأيام والأعوام وهو في غربته ، فتهدم شبابه ويتذكر شبابه وسواد شعره الذي يشبه سواد الغراب ، ثم يربط بين الغراب والغربة فهو يستقي الثقافة العربية في التشاؤم ، فغربة الشباب الذي انتهى التحمت بغربته المكانية والنفسية التي تؤرق مضجعه[٣].

(١) ديوان الغزّيّ : ١٧٨.
(٢) المصدر نفسه : ١٧٨.
(٢) المصدر نفسه : ١٧٨.
(٣) ديوان الغزّيّ : ١٧٨.

ويعزز ذلك قوله[١]:

صابرِ الدّهْرَ والليالي عِشار والمُنى في ضُروعِها أغْبار

توافق هذا مع حال الشاعر في تكلفه، وما يعانيه من توتر وضغط نفسي متضاعف عند استذكاره للديار الخالية، ليشكل صورة كلية تعود الى زمن أفل واندثر، خاضعاً في الآن ذاته لقانون الشاعر في وقوفه على الدهر، واستدعاء ذكرياته (الزمنية) للمكان ودلالاته، وعلى هذا اضاف الشاعر توتراً جديداً في استحضار ذلك وتواليه ، فلا الصبر يجدي ولا الأمنيات في ضروع الليالي العشار فيها أمل بوصفه (الأغبار) ليؤكد أنّ صبره وأمنياته لا خير فيها ولا سعادة ، فهو بذلك يشكّل عنده صدمة ويأسا وغربة واغتراباً .

ويقول[٢]

رَجوتُ القربَ من عُنقِ النَّواجي فَكانتْ للنَّوى ظُفراً ونَابا

رَمَتْني في بلادٍ علّلتْني بسُحبٍ كانَ أكثرها ضَبابا

بلادٌ خَلاية يَلْقاكَ فيها حَبيبَك يومَ نائبةٍ حبابا

ويقوم الإيقاع الفني عامة على أساس وجداني، لأنه يصدر عن الروح ويعود إليها، محركاً أوتارها تاركاً اثر حركته وصفته على تلك الذات، وذلك لما يتميز به من تلاؤم وانسجام، وانه اصل فني، لا بدّ منه حتى يحقق للنفس راحتها وهدوءها، ولا يقتصر هذا على النسق الصوتي الذي تشكله الحروف والتراكيب، بل يشمل حركة المعاني والايماءات والصور فاستعمال الشاعر حرف الباء ليس اعتباطيا وهو من الأحرف المجهورة القوية وحرف من حروف القلقلة الانفجارية فربما اراد أن يوصل صوته بقوة وبصوت عال الى ما الت به الحال من بعد ونؤى وعدم وضوح ويوم نائبة في اشارة الى حالته النفسية الصعبة والمعقدة فكان على الدوام غريبا ومغتربا نفسيا." وتلقيه الغربة القاء ، وترمي به النوى رميا ، وكل الامنيات التي كان يرجوها من غربته تحولت الى سراب وضباب ، بحيث يلقاك من تظن أنه من احبائك حبابا" [٣]يقول[١]

(١) ديوان الغزّيّ:٧٠.

(٢) المصدر نفسه : ١٧٨.

(٣) ديوان الغزّيّ : ١٧٧.

بين العواصِمِ والسّواحلِ منْزلٌ حالتْ سهولٌ دونَهُ وَوُعورُ

وهذا ما ميّز النص، وابعده عن المألوف فبرزت دلالة الاقفار واوحشت في إطار الاستلاب الذي لازم الشاعر فوجّه النص نحو استراتيجية معينة، انبثقت من الداخل إلى الخارج يثبت غربته ووحشته وتجوله بين المدن ليشر إلى حالة القلق وعدم الاستقرار والغربة، ولهذا جماليته في توصيف مشهد البعد والفراق الذي عبّر عنها الشاعر إذ تحوّل الشاعر نحو الفضاء المفتوح المتمثل بقوله (بين العواصم والسواحل ، حالت سهول دونه ووعور) بعد وصف حال الشاعر والتوتر الذي سيطر عليه بعد الرحيل عن الديار، فتحول النص الى معجم دلالي لا ينفصل عن عالم الذات، لكنه خارج إرادتها، ويبقى هو شاهد على ذلك الماضي، والفاعل الأساس في تلك الكونية وقوانينها.

فخضع النص لِأيديولوجية مشتّتة تنحاز نحو اليأس والألم، وتحوّل النص بدلالاته إلى علاقات تركيبية جديدة ، فتوسعت الدلالات وتوالدت تبعاً لمدى تجربة الشاعر وأبعادها الذاتية والموضوعية، وتصنف اللغة على أنها هوية المكان، التي تعني انتماءها إلى مكان وزمان وثقافة محددة، ومجتمع معين كذلك، فيعتمد الانسان عامة، والشاعر خاصة على لغته التي هي وسيلة اتصال بين ذاته ومحيطه، لذا صارت ترجمة لدور المكان وشكله، فغربته كامنة في منزله المتجوّل بين العواصم والمدن.

إذ يقول [٢]

لا أشتكي هذا الزمانَ وأهلَهُ الفضْلُ محسودٌ بِكلِّ زَمانِ

يرى بعض الفلاسفة أنّ سبب بروز إبداع الشخص هو الوضع الاغترابي له[٣].من هنا جاءت رؤية الشاعربعدم شكواه من الزمان وأهله ، ويضفي على نفسه الفضل والتقديم ، فلا يرى غرابة في ذلك فأهل الفضل والعلم أمثاله هم محسودون بكل الأزمان ، والمعنى الخفي يشير الى استيائه من هذا الوضع إلاّ أنه حوله الى قيمة إيجابية بقوله (لا أشتكي) وكأنّه تعود على هذا ، ومن الجدير بالذكر أن هذا المعنى وهذا القول لاينفي أن الغزّيّ كان في حالة اغتراب عن هذا

(١) ديوان الغزّيّ : ١٨٣.
(٢) ديوان الغزّيّ: ٢٧.
(٣) ينظر: السالب والموجب حول اغتراب المثقف العربي : ٢٢٥.

المجتمع وكأنها ، تناقضات ومؤثرات على الذات من خلال الدلالات الإيحائية، والجمل والتراكيب التي يوظّفها الشاعر في تعبيره عن إحساسه بذلك الزمان أو غيره[١].

يقول الغزّيّ [٢]:

تفرّدتَ بالإحسانِ والفضلِ والحِجا فكنتَ غريبَ الدارِ والجِنسِ والعرضِ

نجد الشاعرهاهنا يشير من طرف خفي إلى نفسه ، من خلال الممدوح وكأن الممدوح هو نفسه الغزّيّ بغربته وتفرده بالإحسان والفضل ، ففضْلُ الممدوح بكَرمِ المال وفضله بالشعر، وهذا كلّه متأتٍ من غربته في الدار والجنس والعرض فأضفى على هذه الغربة القيم الايجابية وصرح تصريحاً بما لايقبل الشك عن تفوقه وغربته واغترابه ليؤكد أنه هو المقدم بالفضائل على غيره من الناس بغربته والتزامه ووضعه النفسي ويشكل بذلك معادلة بين تفوقه وغربته . لذلك ذهب بعضهم إلى أنّ الاغتراب يعزز شعورالفرد باستقلاليته ،وغربته عن البنية الاجتماعية يعزز فرديته [٣].

٢- الشّوق والحنين إلى الوطن

يقول الشاعر[٤]

أينَ أيّامنا بِغَزّةَ والعَيـــْـــ شُ نضيرٌ واللّهوُ رَحبُ المَجال

إنّ استحضار الشوق والحنين بشتى عناصرها على مكان معلوم وتأثيرها عليه، يبرز فرادة النص، وتميزه ملتحمة مع جماليات التشكيل التعبيري الذي اكتنز بالمضي والإندثار مع دلالات الاستفهام في ((أين أيامنا)) وهو لا يزال في فضاء المكان وهي لحظة تفريغ المكبوت والزجّ بالمحمول الفكري والوجداني وصياغته بشكل يثير المتلقي ويشد انتباهه، بحالة الشاعر والمه، فبرزت العلاقات السردية التي توالت على تقديم المشهد، ومحاولة تقريب المكان والزمان، والزج بهما في موقف وجودي واحد في تلك الارض التي اشتاق اليها ، وهي قضية وجوده بأكمله، ومع هذا كله يبرز الأمل في التحول والانحياز نحو الحياة، وتغييب ذلك العالم مع ما يحمل من ألم ومشاعر قلقة، والسحب به نحو الأمل والأمان، فهو يستفهم ويحِنُّ على أيامه بغزّة العزّة

(١) ينظر: السالب والموجب حول اغتراب المثقف العربي:٢٢.
(٢) ديوان الغزّيّ : ١٧٧.
(٣) ينظر: الاغتراب الإجتماعي في شعر صدر الاسلام: ١٢.
(٤) ديوان الغزّيّ : ١٨٢ .

والجهاد على مَرِّ العصور ، إلى أن وصل به الحال أن يبتعد عنها ويتركها ويغترب لأجل لقمة العيش وربّما الحالة الاجتماعية السيئة آنذاك .

ويقول[١]

نداكَ الغيثُ ليسَ يَخُصُّ أرضاً و لا يئْدَسُّ مُقْتَحِماً ولاجا

غريبٌ حيثُ كانَ لهُ اشتمالٌ على ماصفرّ من نبتٍ وَهَاجا

فالشاعر يعيش حالة مغايرة، ومتعاكسة في الآن ذاته، فتجاوز الشاعر الزمن التاريخي والمكان المندثر، فيحل أمام ذاكرة آنية أمام ممدوح موصوف حاضر وبقوة ، فهو يجعل من الندى الذي بات مغترباً في أكف الناس معادلاً موضوعياً له ، فهو غريب ومغترب كالنّدى، وهذا المبدأ هو الذي يقسم حاله الذي عاشه الشاعر قسمين، ويؤسس لحالة الصراع ، الذي يعيشه الإنسان والشاعر كذلك، ليصرح بغربته من خلال قوله (غريب) فضلاً عن ما يخلقه من مسافة بين الشيء وضده ، يقول[٢].

وجدّدَ كرْبي ذِكرُ غزّةَ هاشمِ وماجدّ بي منْ شوقِ تلكَ الملاعبِ

مقامُ هوى قلبي ومَسْقطُ هامَتي ومعنى صَباباتي ومَغْنى أقاربي

ذكَرْتُ بذاكَ الربعِ عيشاً طويتُه على غرّة والعيشُ كسوةُ سالبِ

ويستدعي ذلك من الشاعر تقديم دلالات تعادل في تأثيرها ما استفتح به الشاعر ووقف عنده، مسقطاً من تفكيره ذلك الماضي وألمه، متوجهاً نحو توظيف المعطيات الخارجية والزجّ بها لتوافق دلالي وفكري متباين، فضلاً عن تنوع تعبيري مؤثر. إنّ [هيجل]عد حالة الاغتراب "عن البنية الاجتماعية خطراً ، لأنها تؤدي الى شروخٍ داخل ذات المرء ومن ثم تقسيم داخل بنية الشخص " [٣] ، فكربه وغربته هو ذكره لغزّة واشتياقه لها ويتذكر صبابته ولهوه وطويه لتلك الحياة التي غادرها ليكون غريباً ومغترباً في أرجاء الأرض.

---

(١)ديوان الغزّيّ:٧٠.

(٢) ديوان الغزّيّ : ١٨١-١٨٢.

(٣) الاغتراب الإجتماعي في شعر صدر الاسلام ١١ وينظر :الموسوعة الفلسفية ، عبد المنعم الحنفي : ٥١٥ .

إذ يقول[١]:

كنْ في زمانِك جاهلاً لا عالمــاً إنْ كنتَ تطمعُ في حصولِ فوائدِ

فالنّارُ أحرقتِ النّضيجَ لأخذِها منهُ وتُنْضِجُ كلّ نَيءٍ باردِ

يتماهى الشاعر في عدد من الأنساق التي اكتنزت بطاقة دلالية مشحونة على حسب تأثر الشاعر بما يحيط به، ومدى تأثيره على نفسيته المتعبة، وكيف يراه ويعبر عن ذلك شعراً، وهذا يعني أنّ حساسية الشاعر تنبع من ذاته، فالشاعرُ بما يملك من وعي بقضايا الحياة تراه يتخذها رموزاً لإحساسه وحتى أفكاره، وعليه تتشكّل فلسفة الشاعر من ذاته مع المضمون العام ، وفتحت الذات دفقات شعورية تجاه معايير مجتمعه، واثبات شاعريته وعلمه أمام المحيطين، فضلاً عن تجدير الانتماء لهذا المحيط ،فالعالم هو الناضج الذي لايفيد من أحد ، أمّا الجاهل فهو المحتاج إلى النضج والفائدة ، ويوظف الثنائيات المتضادة من خلال الطباق (جاهلاً /عالماً) فيظهر الاغتراب في قلب كل التوازنات المعروفة اجتماعياً فإذا أردْتَ أن تكون مقدّماً في مجتمعك فكن جاهلاً وليس عالماً فالمعايير قدْ اختلّت فأهلُ التملُّقِ والنفاقِ همُ المقدّمون ، وأهل العلم والعلماء والمخلصون فهم في المؤخرة ، ويشبه ذلك بالنار التي تنضج النيء فهو بحاجة إلى تلك النار أمّا الطعام الناضج فلكونه ناضجا سوف تأخذُ منه النار وتحرقه ولاتعطيه في إشارة إلى علمه وشعره ومكانته فهو يشعر بالاغتراب بين هذا المجتمع الذي يسيء له ولأمثاله من العلماء ولايقدّرهم . وفي شاهد آخر يقول [٢]

قدْ تَورطْتُ من تعَسُّفِ شَوْقي حيثُ لايعْرِفُ السلوُّ مَكاني

بعدَ ماكنتُ آمنَ السِّربِ دهراً والأمانيُّ كلُّها في أمانِ

فلا يبدو مجرد شاهد أو سارد يلقي ما عنده وينصرف بل نجده يخترق عدداً من الحواجز التي حاول الشاعر فيها تعميم رؤيته، وهو يبني قصيدته على وفق واقعٍ معاشٍ التمسه الشاعر من ذلك الموصوف، فيعيد إنتاجه الإبداعي بعد المقدمة بطرائق إبداعية موازية للمقدمة أو تفوقها، فتظهر جماليته التي أعطت النص إيقاع جمالي، في قوله (تعسف شوقي ، لايعرف السلوّ مكاني ، كنت آمن السرب).. أرضية موائمة لتنطلق منها العناصر الأخرى، وهي تفضي لمنح النص مزيداً

(١) ديوان الغزّيّ : ٢٨.

(٢) ديوان الغزّيّ : ١٧٥.

من التماسك والاتساق، في كونها شكلت واقعاً متجاوزاً (المادي والمعنوي) في الآن ذاته، على وفق رؤية الشاعر ورصيده الثقافي، فضلاً عن الطابع الحواري الذي تكرر في شعر الغزي ، فالاغتراب كارثة تحيط بالانسان لأنه يأتي " بمعنى نقل الملكية و يؤدي ليس فقط الى فقدان الحرية بل أيضا إلى فقدان الوجود والحياة " [١] ومن ذلك قوله [٢]:

أطالتْ مقامي بالعراقِ جوامعٌ منَ الدَّينَ ذكراها تُقيمُ وتُقعدُ

فَلمّا تَلظّى الشّوقُ واستفحلَ الهَوى وضاقَ نِطاقُ اليوم واستَبعدَ الغدُ

لَبِستُ من الإدلاجِ بالمدحِ شَكّةً فأقْدَمتُ والإقدامُ عزٌّ وسُؤدُ

تبيّن الأبيات آنفة الذكر أنّ الغزّيّ قد أقام في العراق وقتاً غير قصير وهو في غربةٍ مكانية إلاّ أنّها ساعدته بعض الأمور على ذلك إلى أنْ فاضَ شوقه بعبارة لطيفة في قوله (لبستُ من الإدلاج) كناية عن سيره ليلا، ويصفه بالعزّ والسؤدد وقد تناول الفلاسفة وعلماء الإجتماع السوسيولوجي ؛ الاغتراب الاجتماعي فالاغتراب بالنسبة لهم يعني "الشعور بالاختلاف بصورة تبعث على التوتر في وجود الآخرين بسبب وجهة نظر المرء أو اهتماماته أو ذوقه الشخصي " [٣] . ويقول[٤]

أقمتُ بشيرازَ نُصْبَ الرّدَى يَراني ويُدرِكُني إنْ وثبْ

إنّ الخواص التعبيرية التي اتّشحت بها التراكيب بعد توظيف الأفعال(اقمت ، يراني ، يدركني) وتنوعها بين ماضٍ وحاضرٍ يدلّ على بؤسه وغربته المكانية فضلاً عن اغترابه النفسي فلو وثبَ الموت لأدركه وهذا قمة اليأس والشعور بالاغتراب ولذلك يبين كل من [ايكن وهيجل] بأن الاغتراب يتميز من خلال " الاستياء في اطار العلاقات الاجتماعية ومعيارهما في اقرار وجود الاغتراب من عدمه ويتمثل في طلب اجابة الشخص بالإثبات او النفي على السؤال عما اذا كان راضياً عن أولئك الّذين يرتبط بهم " [٥] ومن تعابير البيت يتبيّن بوضوح أنّ الغزّيّ منفصل عن هذه الأرض ومن فيها وغير راضٍ عنهم.

---

(١) الاغتراب (سيرة مصطلح) ، د.محمود رجب : ١٣١ .

(٢) ديوان الغزّيّ : ١٨٠.

(٣) الاغتراب : ٢١٧.

(٤) ديوان الغزّيّ : ١٧٧.

(٥) الاغتراب : ٢١٨-٢١٩.

ويقول[١]

سنوات بمروَ أنسيْنَ غمضاً أطّبانيه عرّة والجفار

إنّ الاشتياق والحنين إلى الوطن سمة من سمات الإيمان ، إلاّ أنّ هذه الغربة التي كان لابد منها عند شاعرنا ، قد شكّلت غربةً مكانيةً ونفسيةً متلازمةً عند الشاعر، فلمْ ينسَ أرضه ومدنه ، وكأنه خاضع تحت سلطة هذه المدينة (مرو) ، فأجفانُه نسيتْ الغمض واعتادتْ الأرق والسهر.

إنّ الخضوع لتلك القواعد ومسايرتها حتى لا يكون منبوذاً من قبل الآخرين أو سلوك طريق التمرد والثورة على تلك القواعد الاجتماعية التي يراها قد فرضت عليه وانه ملزم بالخضوع لها لأن " الشخص لايكون على ما ينبغي له طالما أنّ شخصيته ليست متميزة وإنما تشكلها المؤسسات الثقافية أو الاجتماعية غير الشخصية وتوقعات الآخرين "[٢] فأشار في البنية العميقة للمحمول الفكري والتعبيري في هذا البيت، إلى معاناته وغربته وشوقه لوطنه الأصلي (غزّة) وبقية المدن الأخرى في فلسطين . بعد إقامته بشيراز ومرة أخرى يبطن معنى غربته واغترابه ، إذ،يقول [٣]

لولا الأميرُ بهاءُ الدينِ زادَ علا ما صافحَ الوجدُ بي أقصى خُراسانا

يحاول الشاعر في هذا المحور جذب موصوفه، وتوظيف ما أمكن من دلالات، في محاولة فرض سلطة الشعر وجماليته في الآن ذاته على المنظومة الثقافية آنذاك، فضلاً عن إيجاد مكان متميز للشاعر في أروقة الحكام، وما ترتّب على ذلك من عطايا وهبات. واتّخذ الغزيّ المديح مصدراً لسعة العيش ، وأكثر من مدَحَهُم ؛ همْ مِنَ الخلفاء والقادة وأعيان الدولة، وله طريقة خاصة في مدح كلَّ شخصية على حدة، وإضفاء معانٍ ذاتية تصف علاقته بكل ممدوح منهم، ورؤية الشاعر لكل شخصية منهم ، فهو يبين شرط غربته ووجده الى أقصى خراسان لوجود الأمير بهاء الدين ، فتركه وطنه وغربته ربطها بوجود هذا الأمير ليبين من خلال ذلك ، تجذير انتمائه وهذا محور ارتكز عليه شعراء كثيرون ولاسيما بعد الانفتاح والتداخل بين الامم في العصر العباسي،

(١) ديوان الغزّيّ :١٧٧.

(٢) الاغتراب : ٣٣٠.

(٣) ديوان الغزّيّ : ١٧٦.

فاتسقت التراكيب مع المفاهيم والأيدولوجيات الرائجة في العصر العباسي . وفيه إشارة واضحة على ألمه وغربته ونأيه عن دياره من خلال ذكره (أقصى خراسانا) ويقول[١]

والشّامُ أقوى وطالما عهدتْ لفارسِ النّظْم حلبةً حلبُ

فكيفَ يشْتدُّ صُلبُ قاصِدِها مادامَ للكفرِ حَولَها صُلُبُ

يشير الشاعر إلى مجد وعزّة الشام وقتالها التاريخي ضد الإفرنجة والروم فهي ثغر من ثغور بلاد المسلمين ،إلّا أنّها بعد سيطرة الصليبيّين على أصقاع قربها وحولها لايمكن قصدها ولايمكن أن يشتد صلبه في السفر اليها بقوله (مادام للكفر حولها صلب) فالعلة المانعة هي وجود الأعداء بقلبها وحولها ، وهذا متأتٍ من التمسّك بالدِّين وترك المعاصي لأنّ الغزيّ يَعُدّ الدين معبراً إلى الله سبحانه وتعالى ويكون الدين وسيلة الوصول الى مرضاة الله ، والله الوحيد القادر الذي يعينه على التغلّب على الاغتراب [٢] وفي الشاهد إشارة واضحة جداً على غربته وألمه وتوجّعه من الحالة المأساوية التي تمر به أمّته ؛ ويبدو أنّ التاريخ يعيد نفسه ، فاليوم غزّة تحت الدمار والقتل والتهجير والإبادة الجماعية أمام مرأى ومسمع العالم كله.

وأخيراً يمكن القول بأنّ تجاوز الاغتراب بنظر بعض المفكرين ممكنْ ، ويرى قسم آخر، أن هناك حالات لا يمكن أن يتعداها المرء ، وذهب آخرون أنه لا يمكن في جميع الحالات تجاوز الاغتراب إلاّ بفقدان الإنسان الحياة ، بل كان عليهم أن يقولوا انه ملازماً للإنسان حتى بعد الموت في قبورهم لسوء نظرتهم للحياة ، وإنّ من قال بإمكانية تجاوز الاغتراب نعم يمكن ذلك ولكن باغترابٍ آخر وهو التسليم أو الانفعال أو التنازل.

أمّا نحن المسلمين فنرى برؤيتنا كما عقّبنا سَلفاً ؛ إنّ المؤمن وإنِ اغتربَ فيُمكن له أنْ يتجاوزهما برحمة الله تعالى لأنّ المؤمن لايقنط من رحمته تعالى ، سواءً كان الاغتراب نفسياً أو مكانياً .

---

(١)ديوان الغزّيّ:٧٠.

(٢) ينظر: الفلسفة الوجودية عند نيقولا برديا ئيف ، د.نبيل رشاد سعي: ١٨١ .

الخاتمة

بعد رحلة في نصوص الشاعر الغزّيّ، توصّلتُ إلى جملة من النتائج، التي وجدتُ فيها خلاصة اغتراب الشاعر في عدد من القضايا المحيطة به، والمؤثرة في ذاته ووجدانه، فكانت كما يأتي:-

١_ لمصطلح الاغتراب تعريفات كثيرة فلكلّ منظور رؤيته وتعريفه الخاص به ، منه (الاجتماعي والنفسي والمكاني والزماني والاقتصادي والروحي وحتى الذاتي) .

٢_ كان لتدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية دور كبير في فقدان شاعرنا مكانته بين المجتمع وهذا ما دفعه إلى الاغتراب .

٣_ إنّ الغزّيّ في شكواه ينشد أهدافاً إنسانية نبيلة برغباتٍ غير معلنة كالكشف عن الخللِ الاجتماعي واضطرابِ القيمِ ، ومحاولة معالجتها.

٤- تشابكت الغربة المكانيّة مع الاغتراب النفسي عند الغزّيّ فلا تكاد تنفصل عنْ بعضِهما .

٥_ إنّ الشاعر عندما يعبّر عن أفكاره ومشاعره لايكون بِمعزل عن الواقع الاجتماعي ، فكان اغترابه متراوح مابين السّلب والإيجاب.

٦- شكّل الاغتراب الاجتماعي والمكاني والزماني والحنين إلى الوطن في شعر الغزّيّ كماً ونوعاً مساحةً واسعةً في شعرِه ، أمّا الأنواع الأخرى فتحتاج إلى بحث مستقل.

المصادر والمراجع

١- الإبداع والتوتر النفسي دراسة تجريبية ، د.سلوى سامي الملا , تصدير : د. مصطفى سويف , دار المعارف , مصر (د.ط) , (د.ت).
٢- الاغتراب ، ريتشارد شاخت ، ترجمة كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات العليا ، بيروت، ط١، ١٩٨٠م .
٣- الاغتراب(سيرة مصطلح)، د.محمود رجب ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٨. ناظم أحمد السويداوي، حركية الصراع في القصيدة العباسية، فلسفة الصراع والرؤية الشعرية، دار العرب، دار نور، سوريا، د.ط، ٢٠١٢م.
٤- تحول المثال- دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي – صالح زامل ، المؤسسة العربية للدراسات العليا ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣.
٥- ديوان الغزّيّ ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الرزاق حسين ، مراجعة وتقديم قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط١ ، دبي الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٨.
٦- سُنن الترمذي ، تحقيق: أحمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، ط٢ ،١٩٧٥.
٧- الفلسفة الوجودية عند نيقولا برديائيف , د.نبيل رشاد سعيد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد , (ط:١),٢٠٠٦
٨- القلق والاغتراب في الشعر الجاهلي , د.عمر الطالب ، دار عكاظ ، الرباط ،(د.ط)١٩٨٨
٩- . لسان العرب أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط.١ (د.ت).
١٠- مقدمة في نظرية الأدب ، د.عبد المنعم تليمة ، دار العودة ، بيروت ،(ط:٢) ،١٩٧٩.
١١- مقدمة للشعر العربي، أدونيس ، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م
١٢- المكان في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي ٤٨٤هـ-٨٩٧هـ, د.محمد عويد محمد ساير الطربولي ,مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة ,(ط :١)١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م
١٣- منازل السائرين . الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي , دار الكتب العلمية , بيروت , د.ط,١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
١٤- الموت في الفكر الغربي ، جاك شورون ترجمة. كامل يوسف حسين مراجعة وتقديم : د.إمام عبد الفتاح عالم المعرفة (د.ط) ١٤٠٤هـ| ١٩٨٤.

١٥- الموسوعة الفلسفية، د.عبد المنعم الحفني ، دار ابن زيدون ، بيروت ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،ط١ ، (د.ت).

الرسائل والأطاريح الجامعية:

١- الاغتراب الاجتماعي في شعر صدر الإسلام ، حسن صالح سلطان ن رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة الموصل ، بإشراف أ.د.عمر الطالب ٢٠٠٠.

٢- حول الاغتراب الكافكاوي ، جماليات المكان في شعر ذي الرمة، رسالة ماجستير، إبراهيم محمود ، إشراف: م. سمر الديوب: جامعة البعث، سورية، ٢٠١٠م .

الدوريات

١- الاغتراب الجديد ، د. احمد أبو زيد , مجلة العربي , الكويت ,ع٦٣١ ,٢٠١١.

٢- الاغتراب عند أبي حيان (دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي) حسن محمد حسن حماد ، مجلة فصول م ج ١٤ ع ٣ ١٩٩٥,٧٥.

٣- الاغتراب في الأدب والفن ، شاكر نوري، مجلة الثقافة ، مج٧ ،ع٦ ،١٩٧٧.

٤- الاغتراب في الفكر الماركسي , شاكر نوري و مجلة القافة , ١٣ ،ع٤ ,١٩٨٣ م .

٥- السالب والموجب حول اغتراب المثقف العربي، د.فايز حداد ، مجلة المعرفة ، السنة ٤٦ ، العدد ٥٢٣ ،١٤٢٨هـ /٢٠٠٧.

٦- عالم الاغتراب الكافكاوي ، مجلة عالم المعرفة ، بيروت ،ع ٥ ، ١٩٨٠م.